



مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

المسلمون في أستراليا

التاريخ وسياسات التعددية الثقافية

الكتاب 122 فبراير (شباط) 2017

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

هجرة المسلمين إلى أستراليا: تاريخ التجارب الاجتماعية المعاصرة

فتحي منصورى*

ترجمة: عمر الأيوبي**

يتناول هذا البحث استقرار المسلمين في أستراليا منذ أوائل القرن التاسع عشر، إلى الهجرة المعاصرة من العديد من أنحاء العالم الإسلامي. ويتتبع العوامل التاريخية التي أطلقت هذه الهجرة وقيدتها وأثرت فيها، مركزاً على عوامل الدفع والجذب. كما يتفحص التجارب الاجتماعية للمسلمين الأستراليين، وخصوصاً في سياق الخطابات الجديدة ذات الطابع الأمني، التي تربط - إلى حد ما - الإسلام والمسلمين بالصراعات السياسية والأيديولوجيات الإرهابية.

(*) أستاذ كرسي اليونيسكو في البحوث المقارنة، ومدير معهد ألفرد ديكن للمواطنة والعمولة (Alfred Deakin Institute for Citizen-Ship and Globalisation) في جامعة ديكن أستراليا (Deakin University, Australia).
(**) مترجم فلسطيني.

يلقي هذا البحث الضوء على تاريخ هجرة المسلمين واستيطانهم في أستراليا، وهو مجال من تاريخ الاستيطان في أستراليا غير موثّق توثيقاً واسعاً في الكتابات. وخلافاً للاعتقاد الشائع، شهدت أستراليا في الواقع أول هجرة للمسلمين واستقرارهم قبل وقت طويل من إنشاء الاتحاد الأسترالي سنة 1901. بل يمكن تتبّع وجود المسلمين إلى القرن السادس عشر، بقدوم صيادي ماكاسار وصائدي اللؤلؤ الملايوين إلى أستراليا الغربية، وكوينزلند، ونورثرن تريتوري⁽¹⁾. وفي القرن العشرين، بدأ ما بين (2000) و(4000) جمّال أفغاني على وجه الخصوص الهجرة إلى أستراليا أثناء الاستكشافات الأوروبية عبر «المركز الأحمر»⁽²⁾. لكن في أعقاب إنشاء الاتحاد الأسترالي واعتماد «سياسة أستراليا البيضاء» سنة 1901، شهد هذا المصدر للهجرة تراجعاً كبيراً، وأخذت بعض الجماعات مثل الأفغان والسوريين، تجد صعوبة متزايدة في إيجاد عمل بسبب التشهير والعزل العرقي، وهي الممارسة التي يمكن تحديدها حالياً بأنها حالات من «رُهاب الإسلام»⁽³⁾.

مع ذلك، وعلى الرغم من التاريخ الطويل لوجود المسلمين في أستراليا، فقد شهدت وتيرة هجرة المسلمين ارتفاعاً كبيراً في أعقاب الحرب العالمية الثانية من (2704) مهاجرين سنة 1947 إلى (22,311) مهاجراً سنة 1971. وكانت أكبر الفئات متحدّرة من أصول تركية في البداية. ومع اعتماد السياسة الأسترالية المتعدّدة الثقافات سنة 1972، تغيّر هذا الاتجاه بمجيء المهاجرين العرب من بلدان مختلفة

(1) Mansouri, F. 2012, 'Muslim Migration to Australia and the Question of Identity and Belonging'. In F. Mansouri and V. Marotta (eds) 'Muslims in the West and the Challenges of Belonging' (pp. 1-13). Melbourne University Press. Kabir, N 2004, Muslims in Australia: Immigration, Race Relations and Cultural History, London: Kegan Paul. Wise, A & Ali J 2008, Muslim-Australians and Local Government: The Grassroot Strategies to Improve Relations between Muslim and Non-Muslim Australians –Final Research Report, Centre of Research on Social Inclusion, Macquarie University: Sydney.

(2) Omar, W Allen, K 1996, The Muslims in Australia, Australian Government Publishing Service, Canberra. p. 9; Mansouri, F. & S. Percival-Wood 2008, 'Identity, education and belonging: Arab Muslim youth in contemporary Australia'. Melbourne, Melbourne University Press.p. 9.

(3) Saeed, A 2003, Islam in Australia, Allen & Unwin, Sydney. Bouma, G D 2011 'Islamophobia as a constraint to world peace: the case of Australia', Islam and Christian-Muslim Relations, vol. 22, no.4 , pp. 433-441.

نتيجة عاملين رئيسيين: أولاً: عامل دفع متعلق بالصراعات المتعددة التي تؤثر في البلدان العربية (لا سيما الحرب الأهلية اللبنانية). ثانياً: عامل جذب متعلق بأستراليا، التي أدخلت ونفذت سياسات الحكومات المحلية للتوسع الاقتصادي، وبرامج الهجرة الموجهة توجيهاً جيداً⁽⁴⁾. كان المهاجرون العرب في عداد هذه الموجة من الهجرة من مختلف المعتقدات الدينية، على الرغم من أن معظم المهاجرين اللبنانيين الذين انتقلوا إلى أستراليا قبل سنة 1975 كانوا مسيحيين. لكن منذ اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية سنة 1975، تزايد عدد اللبنانيين المسلمين الذين هاجروا إلى أستراليا⁽⁵⁾. وأعقب ذلك موجات متتالية من فئات أخرى مثل المصريين والعراقيين والأفارقة.

منذ سنة 2001، تزايد وجود المسلمين في أستراليا باطراد. ففي 2001، كان هناك ما يقرب من (282,000) مسلم في أستراليا⁽⁶⁾، وارتفع هذا العدد ارتفاعاً كبيراً سنة 2006، إذ أصبح عدد المسلمين المقيمين في البلد (340,000) نسمة⁽⁷⁾. ووفقاً لآخر إحصاء أجري سنة 2011، أصبح المسلمون يشكلون (2.2%) من السكان الأستراليين⁽⁸⁾. واستناداً إلى بيانات مكتب الإحصاء الأسترالي، ارتفع عدد المسلمين في أستراليا بين سنتي 2001 و2011 إلى (476,000) نسمة، أي بنسبة (69%)⁽⁹⁾. ويشكل الإسلام اليوم ثالث أكثر الأديان تعداداً بعد الكاثوليك والهندوس. وتظهر البيانات أن 61.5% من السكان المسلمين ولدوا في الخارج⁽¹⁰⁾. ووفقاً لمكتب الإحصاء الأسترالي (2013)، كان (1.4%) من السكان الأستراليين يتحدثون العربية. وقد تراجع عدد المهاجرين اللبنانيين المنتقلين إلى أستراليا مقارنة بالسنوات السابقة.

(4) Mansouri & Percival Wood 2008, p. 11.

(5) Poynting, S & Mason, V 2007, 'The resistible rise of Islamophobia Anti-Muslim racism in the UK and Australia before 11 September 2001', Journal of sociology, vol. 43 no. 1, pp.61-86.

(6) Saeed 2003.

(7) Australian Bureau of Statistics 2008, Year Book Australia 2008, www.abs.gov.au/AUSSTATS.

(8) Australian Bureau of Statistics 2013, Year Book Australia 2013, retrieved 6 September 2016, http://www.abs.gov.au/ausstats/abs@.nsf/mf/1301.0, .

(9) المرجع نفسه.

(10) المرجع نفسه.

ويوضح جمال ريفى بصفته قائد الجالية الإسلامية، أن طلبات الهجرة إلى أستراليا أصبحت باهظة التكاليف، ولا يستطيع الناس احتمالها⁽¹¹⁾. كما أن الجالية اللبنانية أصبحت أكثر اندماجاً، فلم يعد اللبنانيون يعودون إلى الوطن لإيجاد شريك، بل يفضلون أبناء الجالية في أستراليا.

توفّر البيانات الصادرة سنة 2016 عن وزارة الهجرة وحماية الحدود، صورة أكثر حداثة عن وجود المهاجرين القادمين من البلدان العربية والإسلامية، بصفتهم مقيمين دائمين. فوفقاً لتلك البيانات، ارتفع عدد المهاجرين الماهرين القادمين من البلدان العربية والإسلامية سنة 2014-2015، وكان عدد الباكستانيين المنتقلين إلى أستراليا بصفتهم مقيمين دائمين، يفوق عدد المواطنين الأيرلنديين. ففي 2014-2015، بلغ عدد المهاجرين الماهرين القادمين من باكستان (6974)، وبلغت هجرة أسر المواطنين الباكستانيين (1302) مهاجر⁽¹²⁾. ويفترض أن يكون معظم هؤلاء المهاجرين مسلمين، إذ إن (87.8%) من المهاجرين من باكستان سنة 2013، حدّدوا أنفسهم بأنهم مسلمون، وفقاً لمكتب الإحصاء الأسترالي⁽¹³⁾. وجاء أيضاً المهاجرون الماهرون الذين انتقلوا بصفة دائمة إلى أستراليا من البلدان العربية والإسلامية سنة 2014-2015 من ماليزيا (3997)، وإندونيسيا (2007)، والعراق (586)، وسورية (220)⁽¹⁴⁾.

وأسهم البرنامج الإنساني أيضاً في زيادة حضور المهاجرين المسلمين والعرب في أستراليا. ففي 2015 و2016، خصّص قسم كبير من التأشيرات الممنوحة في

(11) Overington, C 2016, Muslim migration to Australia: the big slowdown, The Australian, <http://www.theaustralian.com.au/news/inquirer/muslim-migration-to-australia-the-big-slowdown/news-story/6be73d718d50476f940e30281d885b99>.

(12) Department of Immigration and Border Protection 2016, Australia's Migrant Programme 2016 - Permanent migration outcome 2014- 2015, retrieved 13 September 2016, <https://www.border.gov.au/ReportsandPublications/Documents/statistics/permanent-migration-2014-15.pdf>.

(13) Overington 2016.

(14) Ministry of Immigration and Border Protection 2016.

الخارج (58.9%) لبلدان الشرق الأوسط⁽¹⁵⁾. وحصل العراق على أكبر عدد من التأشيرات الممنوحة في البرنامج الإنساني (4358)، تليه سورية (4261)، وأفغانستان (1952)⁽¹⁶⁾. لكن تجدر الإشارة إلى أن تزايد وجود المسلمين في أستراليا، لا يرتبط ارتباطاً مباشراً بالهجرة، وإنما بارتفاع معدلات الولادة في أوساط الجاليات الإسلامية والعربية⁽¹⁷⁾.

التجارب الاجتماعية للأستراليين المسلمين في أعقاب 9/11

يرتبط الخوف المتزايد من التنوع العرقي والعداء تجاه الأستراليين العرب والمسلمين، بالإضافة إلى المهاجرين المسلمين، ارتباطاً وثيقاً بالأحداث الدولية والمحلية التي أثرت في البلدان الغربية، بما في ذلك أستراليا.

فقد أثارت هجمات 11 سبتمبر (أيلول) رد فعل قوياً ضد الأستراليين العرب والمسلمين لأسباب عدة⁽¹⁸⁾. أولاً، أثارت طبيعة العمل غضباً وخوفاً وصدمة شديدة في كل أنحاء العالم، إذ شهدت البلدان الغربية للمرة الأولى تأثير هجوم إرهابي. ثانياً: نتيجة لإساءة فهم أسباب الحادث، بدأت البلدان الغربية البحث عن أحد تلقي عليه تبعات الهجوم. وعززت هجمات «11 سبتمبر/ أيلول» موقف القادة الغربيين ووسائل الإعلام الغربية بأن الإسلام بوصفه كياناً منسجماً، يحرّض على العنف الأولي المعادي للغرب⁽¹⁹⁾. فبدأت شرائح الرأي العام في البلدان الغربية، التي

(15) DIBP 2016.

(16) DIBP 2016.

(17) Mansouri, F., M. Lobo and A. Johns 2016, Grounding religiosity in urban space: Insights from Multicultural Melbourne. AUSTRALIAN GEOGRAPHER, VOL. 47, NO. 3-; Mansouri, F. (2nd ed,) 2011, 'Australia and the Middle East: A Front-line Relationship'. London/New York: I.B.Tauris/Palgrave Macmillan (second edition).

(18) Johns, A., F. Mansouri and M. Lobo 2015, 'Religiosity, Citizenship and Belonging: The Everyday Experiences of Young Australian Muslims'. Journal of Muslim Minority Affairs Volume 35, Issue 2, pp171-190.-; Mansouri & Percival Wood 2008, p. 1; Mansouri 2011.

(19) Saeed 2003, p. 186.

أصببت بالذعر والهستيريا تنظر إلى زملائها المواطنين وطالبي اللجوء، العرب أو المسلمين، باعتبارهم إرهابيين محتملين وأشخاصاً غير جديرين بالثقة⁽²⁰⁾. ووفقاً للمجلس الأسترالى العربى، تضاعف التهجم على الأستراليين العرب والمسلمين المسجل في البلاد عشرين مرة في الأسابيع الثلاثة الأولى التي تلت أحداث 11 سبتمبر (أيلول)⁽²¹⁾.

وفي السنة نفسها، أسهمت الحكومة الأسترالية في تعزيز التمثيل السلبي لطالبي اللجوء القادمين من بلدان الشرق الأوسط. وبلغت ذروتها أثناء ما سمي بحادثتي «تامبا» و«رمي الأطفال عن متن السفن» التي وقعت في المياه الإقليمية الأسترالية. وفي أعقاب تلك الحادثتين، أدخلت الحكومة تغييرات تشريعية واسعة، تزيد من صعوبة وصول طالبي اللجوء العرب والمسلمين إلى أستراليا⁽²²⁾. وكما يرى مايكل ليتش⁽²³⁾ (Michael Leach)⁽²⁴⁾، استخدمت الحكومة هاتين الحادثتين بمثابة «موضوع مركزي» في حملتها الانتخابية سنة 2001. وكانت الحملة الانتخابية تهدف إلى تحديد الهوية الوطنية الأسترالية، مقابل من سموا بـ«العرب الآخرين»⁽²⁵⁾. وكان «العرب الآخرون» مسلمين وشرق أوسطيين بالدرجة الأولى. وفي البيئة الخائفة التي أعقبت 11 سبتمبر (أيلول)، غالباً ما ربط السياسيون الأستراليون طالبي اللجوء بشبكات الإرهاب العالمية، مما عزز القومية الأسترالية وصوّر غير الأنغلوأستراليين، وخصوصاً الأستراليين العرب والمسلمين على أنهم إرهابيون محتملون⁽²⁶⁾.

(20) Hage, G 2002, 'Postscript: Arab-Australian belonging after 'September 11', in Hage, G. (ed), Arab-Australians Today: Citizenship and Belonging, Melbourne University Press, Melbourne, 2002., p. 243.

(21) Australian Arabic Council 2001, 'Racial Vilification Against Arabic and Muslim Australians in Light of the September 11th Terrorist Attacks in the United States', Melbourne, p. 4.

(22) Leach, M. "'Disturbing Practices': Dehumanizing Asylum Seekers in the Refugee «Crisis» in Australia, 2001-2002', Refuge, vol. 21, no. 3, 2003, p. 26.

(23) بروفييسور في العلوم السياسية والعلاقات الدولية في معهد سوينبرن للبحوث الاجتماعية (Swinburne Institute for Social Research)، أستراليا (المحرر).

(24) Leach, p. 25.

(25) Poynting et al. 2004, p. 63.

(26) Leach, p. 29.

أثرت الصراعات الدولية أيضاً في صورة الجالية العربية والإسلامية في أستراليا. وأسهمت مشاركة أستراليا في مختلف الصراعات في المنطقة في تعزيز المشاعر المعادية للمسلمين. وواجهت الجماعات المسلمة في أستراليا كثيراً من العداوة والكرهية للأجانب منذ 11 سبتمبر (أيلول)، وخصوصاً في أعقاب الحرب في العراق سنة 2003. وشكك في ولاء كثير من المسلمين لأستراليا وشعروا بأن عليهم الاختيار بين خلفيتهم الثقافية وهويتهم الوطنية الأسترالية.

ومنذ سنة 2003، تأثرت بلدان الشرق الأوسط بالعديد من الصراعات التي أسهمت في مزيد من تدهور صورة الإسلام والمسلمين في أستراليا. وما الصراعات المتعاقبة في العراق منذ سنة 2003، والحرب الأهلية السورية منذ سنة 2011، ومحاولة الانقلاب التركية سنة 2016، إلا آخر الأحداث التي أثارت اهتمام البلدان العربية. وقد أحدثت هذه الصراعات مزيداً من الضرر، في صورة المواطنين المسلمين المقيمين في البلدان الغربية، بما فيها أستراليا.

وأسهم حصار مقهى في سيدني سنة 2014 في تعريض التصور المتضرر أصلاً للجالية العربية والإسلامية للخطر. ومن المهم أن الخطاب السياسي والتخمينات المتعلقة بالحادثة ترتبط ارتباطاً غير صحيح بالأنشطة الإرهابية المحلية⁽²⁷⁾. وقد أثارت الحادثة قدراً كبيراً من القلق والخوف بين الناس. كما أن المخاوف من تجنيد المسلمين الأستراليين بمثابة «مقاتلين أجانب» منذ ظهور «داعش» أفاد مصالح بعض القادة السياسيين في تعزيز السياسات الجديدة المضادة للإرهاب⁽²⁸⁾. وأضاف ظهور «داعش» بُعداً مقلقاً إلى العلاقة الشائكة أصلاً بين العالم الإسلامي والغرب. وأصبح الصراع في سورية - حيث تقوم «داعش» بدور رئيس - مسرحاً إقليمياً لحرب بالوكالة

(27) Levy, M & Visenten, L 2014, 'The Siege Ends, Two Hostages, Gunman Dead', The Age, Melbourne.

(28) Mansouri, F., M. Lobo and A. Johns 2015, 'Addressing the «Muslim Question»'. Journal of Muslim Minority Affairs, Volume 35, Issue 2, pp165-170.
<http://dx.doi.org/10.1080/13602004.2015.1046745>

متعددة الأطراف. وتبرز أحداث مثل موجات الهجمات الحديثة في تونس، وسيناء، وأنقرة، وبيروت، وباريس، البعد العابر للحدود الوطنية لهذه الأنشطة الإرهابية. وقد سلّطت الأحداث الجارية الضوء ثانية على الجاليات العربية والإسلامية، وأحدثت مزيداً من الخوف في البلدان الغربية، وعززت الشعور بانعدام اليقين تجاه الأستراليين والعرب والمسلمين، وولّاهم للبلد باعتبارهم مواطنين أستراليين.

الأستراليون المسلمون وتصادم كراهية الأجانب

من الواضح أن الصراعات والحوادث الإرهابية أثّرت في تصوّر الأستراليين المسلمين والعرب على حدّ سواء. ويمكن أن تتفاوت عواقب هذه الحوادث تبعاً للعديد من العوامل. وكشفت دراسة أجريت سنة 2003 أن العنصرية وكراهية الأجانب التي يمارسها الأستراليون الآخرون على الأستراليين المسلمين والعرب، وصلت إلى مستويات مرتفعة⁽²⁹⁾. وبيّنت الدراسة أيضاً أن العديد من الأستراليين يشهدون كل يوم أشكالاً غير رسمية من العنصرية، مشيرة إلى أن ربع الأستراليين يشهدون أنواعاً من العنصرية في تفاعلاتهم الاجتماعية اليومية⁽³⁰⁾. وسُجّلت هجمات للتشهير بالأستراليين المسلمين والعرب، لا سيما النساء، على نطاق واسع أيضاً في زمن الحرب على العراق، بما في ذلك تهديدات بالقتل، والتهديد باغتصاب المسلمات⁽³¹⁾. ويبدو أن المسلمات على وجه الخصوص مستهدفات لسببين رئيسيين. أولاً: إن من يرتدين الحجاب يرتبطن ارتباطاً مادياً بالإسلام⁽³²⁾. وشملت التجارب التي أفاد عنها

(29) Dunn, K.M 2003, 'Racism in Australia: findings of a survey on racist attitudes and experiences of racism', National Europe Centre Paper No. 77, Conference – The Challenges of Immigration and Integration in the European Union and Australia, University of Sydney, , <<http://www.chilout.org/files/RacismSurvey.pdf>> pp. 2-4.

(30) Dunn 2003, p. 10.

(31) Nahlous, L 2001, 'Women, Violence and the Media', Conference – Women Reporting Violence in a Time of War, Sydney University of Technology, <http://international.activism.hss.uts.edu.au/w_violence/transcripts/nahlous.html> .

Human Rights and Equal Opportunities Commission (HREOC) 2004, Isma – Listen: National Consultations on Eliminating Prejudice against Arab and Muslim Poynting & Mason: The resistible rise of Islamophobia, retrieved 14 September 2016, http://www.hreoc.gov.au/racial_discrimination/isma/report/index.html

(32) Saeed 2003, p. 182.

الأستراليون العرب والمسلمون إساءات واسعة الانتشار وعديدة، تشمل نزع غطاء الرأس، والهجوم اللفظي والمادّي، والبصاق، والترهيب والتحقير، واستلام رسائل كراهية، والعديد من الأمثلة الأخرى⁽³³⁾. ثانياً: يعتبر بعض الأستراليين الآخرين المسلمات متواطئات في التعرّض للاضطهاد من قبل نظام ديني وثقافة بطريكي (أبوي)، وبالتالي يُحتقرن⁽³⁴⁾.

ربط العديد من المعلقين مباشرة بين الأحداث العالمية أو المحلية والهجمات على الأستراليين المسلمين والعرب⁽³⁵⁾. ويجدر استعراض المزيد عن كيف أصبح بعض الأشخاص يعتبرون الأستراليين المسلمين والعرب متورّطين في الأحداث، التي غالباً ما تكون بعيدة جداً من نطاق سيطرتهم. ويمكن فهم ذلك عبر الخلط بين العرب والمسلمين، وعدم فهم الإسلام في البلدان الغربية، والأهم من ذلك تقديم الإسلام بمثابة كيان منسجم مرتبط بالاستهداف الإرهابي للبلدان الغربية. كما يمكن اعتبار هذا الشعور جزءاً من ردّ الفعل على التعددية الثقافية، أو التصلب المحافظ - على الأقل - تجاه فكرة التعددية الثقافية، حيث أصبح الخوف من أي أسترالي متعدّد الثقافات والولاءات الوطنية والارتياح فيه شعوراً واسع الانتشار⁽³⁶⁾. وتشمل هذه المشاعر الخوف من الجماعات المرئية، التي لا تندمج مع المعايير الأنغلوأسترالية⁽³⁷⁾. ومن المفارقة أن الانعزال الذي فرض على بعض أعضاء الجاليات الأسترالية المسلمة والعربية، فسّر باعتباره انفصلاً عن «النزعة الأسترالية» ودليلاً على الولاء لنظام ديني أو سياسي يعتبر معادياً للغرب. غير أن معاملة الأستراليين المسلمين والعرب

(33) The Sunday Morning Herald 2004, Vilification against Arabs and Muslims increases, <http://www.smh.com.au/articles/2004/06/16/1087244970525.html>.

(34) Saeed 2003, p. 182.

(35) Mansouri, F., M. Lobo and A. Johns 2015, 'Addressing the «Muslim Question»'. Journal of Muslim Minority Affairs, Volume 35, Issue 2, pp165-170. <http://dx.doi.org/10.1080/13602004.2015.1046745->;

Saleem, M, Prot, S, Anderson, C. A & Lemieux, A. F 2015, Exposure to Muslims in Media and Support for Public Policies Harming Muslims, Communication Research

(36) Mansouri & Percival Wood 2008, pp. 12-16.

(37) Levey, G. B 2011, 'Multiculturalism and Terror', in R. Gaita (ed.) Essays on Muslims and Multiculturalism, Text Publishing Melbourne Australia, p. 42.

بكرهية، ليست ناجمة عن الأحداث العالمية الأخيرة. فالتاريخ الأسترالى للتعامل مع الاختلافات الثقافية، والسياق التاريخى للاستبعاد والمعاملة المتحيّزة للجاليات المسلمة والعربية فى أستراليا، بالإضافة إلى تاريخ الخطاب الغربى عن الإسلام، فى حاجة إلى مزيد من التحليل لفهم تطوّر مشاعر الكراهية للأستراليين المسلمين والعرب.

السياق التاريخى: الخطاب الاستشراقى وأطروحة «الإسلام مقابل الغرب»

منذ سنة 2001، تجاوزت الشعور العنيف والمسيء تجاه الأستراليين المسلمين والعرب، التصوّر السلبي الذى شهده المسلمون فى فترة حرب الخليج⁽³⁸⁾. غير أن الجالية المسلمة والعربية فى أستراليا، واجهت مستويات خطيرة من التمييز وكراهية الأجانب فى وقت سابق، حيث وقع العديد من حوادث المضايقة وكراهية الأجانب خلال تسعينيات القرن العشرين.

أدى التفسير الغربى للأحداث العالمية منذ السبعينيات وما تلاها، إلى ربط تاريخى للإسلام «بالتطرّف، وعدم التسامح، والعنف»⁽³⁹⁾. وتشمل هذه الأحداث الثورة الإيرانية سنة 1979، والصراع العربى-الإسرائيلى، وحرب الخليج 1990-1991، والأنشطة الإرهابية المرتكبة باسم الإسلام فى الشرق الأوسط، والفلبين، وإندونيسيا⁽⁴⁰⁾. ولقى ربط الإسلام بالتطرّف مزيداً من الدعم بالصراعات الحديثة، التى وقعت فى بلدان الشرق الأوسط، مما عزّز رُهاب الإسلام القائم بالفعل فى البلد⁽⁴¹⁾.

(38) Saeed 2003, pp. 189-192.

(39) Saeed 2003, p. 184.

(40) Saeed 2003, pp. 184-86.

(41) Bouma, G. D, Cahill, D, Dellal, H and Zwart, A 2011, Freedom of religion and belief in twenty-first-century Australia, Sydney: Australian Human Rights Commission.

غير أن العلاقة بين المذاهب الإسلامية، والعرب، والاضطهاد لم تنشأ بعد حادثة «11 سبتمبر (أيلول)». فللعنصرية المعادية للعرب في العالم الغربي نسب طويل وفقاً لجوريديني (Jureidini) وهاج (Hage)⁽⁴²⁾. وفي التراث الاستراتيجي الذي حلّه إدوارد سعيد⁽⁴³⁾، وفي التصوّر العنصري الغربي الشائع والمسيطر، تبدو الحدود بين العربي والمسلم شديدة التشوش⁽⁴⁴⁾. ولا شك في أن الخطاب السلبي ذا النزعة الجوهريّة والمضلل، تصاعد في أعقاب الحوادث التي شهدتها الولايات المتحدة، لكن يجب أن نتذكّر أن حادثة «11 سبتمبر (أيلول)» ما هي إلا نقطة جديدة في سلسلة متصلة من الخطاب الغربي.

سنة 1997، أبدى المنظر ما بعد الاستعمار سعيد قلقه من أن «التعميمات الخبيثة عن الإسلام أصبحت الشكل المقبول الأخير لتشويه سمعة ثقافة أجنبية في الغرب»⁽⁴⁵⁾. وقد تحدّى سعيد نظرية «صدام الحضارات» التي أوجزها الباحث الأمريكي صاموئيل هنتنغتون، حيث صوّر الإسلام باعتباره «كياناً واحداً متماسكاً»⁽⁴⁶⁾. ووفقاً لسعيد، طوّر المستشرقون، ووسائل الإعلام الغربية، وصنّاع السياسات الغربيون تعميمات معادية عن الإسلام. ومن خلال الصور التي روج لها المعلقون، أنكر على الإسلام أي تنوّع في الخصائص، والممارسات، والمعتقدات، وقدم كل المسلمين والعرب باعتبارهم ذوي طبائع تحقيرية متأصلة⁽⁴⁷⁾. ورأى سعيد أن لهذه التعميمات عواقب خطيرة، إذ تحرّض على كراهية المسلمين ومن يرتبط بالإسلام وعدم الثقة بهم، وتنشئ روابط

(42) Jureidini, R & Hage, G 2002 'The Australian Arabic Council: anti-racist activism', in Hage, G. (ed), Arab-Australians Today: Citizenship and Belonging, Melbourne University Press, Melbourne., p. 173.

(43) Said, E.W 1997, Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World, Vintage Books, London..

(44) Jureidini & Hage 2002, p. 173.

(45) Said 1997.

(46) Huntington, S.P 1997, The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order, New York: Touchstone .

(47) Said 1997.

لكن تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن الأحداث العالمية الحديثة والسابقة، التي تشمل المسلمين وتحليلها في وسائل الإعلام الغربية، أثرت في المشاعر المعادية للعرب والمسلمين، فإن مثل هذه المشاعر لا يمكن فهمها بهذه المصطلحات فحسب. فلاستراليا تاريخ طويل من الإقصاء الرسمي وغير الرسمي «للآخرين». ومع أن هناك أموراً تاريخية محددة، تُظهر لماذا هُمّشت فئات عرقية ودينية معيّنة، فإن في حالة الأستراليين المسلمين والعرب بعض الأمور الشائعة، في إقصاء فئات الأقلية الموجودة في تجارب مختلف الفئات.

الانتماء، الهوية، والإدماج في أستراليا المتعدّدة الثقافات

في وقت مبكر يرجع إلى سنة 1996، كتبت الأكاديمية الأسترالية من أصول باكستانية حنيفة دين (Hanifa Deen) أن «المسلمين في أستراليا (...) مقتنعون بأن (...) الإسلام أصبح عدوًّا عالمياً جديداً (...) وأن المسلمين في حاجة إلى إعادة طمأننة بعدم اعتبارهم أعداء، وأنهم ليسوا غير أستراليين»⁽⁴⁹⁾. وأكد إدوارد سعيد⁽⁵⁰⁾ أيضاً أن هناك استمراراً تاريخياً لاتجاه، بدأ في الحرب العالمية الأولى، حيث يشكّ الأستراليون غير المسلمين بولاءات الأستراليين المسلمين للأمة الأسترالية. وكانت هذه الشكوك تثار كلما وقعت أزمة عالمية أو أحداث محلية تشمل المسلمين. ومع أن بعض المسلمين الأستراليين تفاعلوا مع ذلك بحثّ جاليتهم على تعزيز الصورة الإيجابية للإسلام في أستراليا، فإن مسلمين آخرين شعروا بأن ذلك استرضاء

(48) Said 1997.

(49) Deen, H 2003, Caravanserai: Journey among Australian Muslims, Fremantle Arts Centre Press, Fremantle, p. 272.

(50) Saeed 2003 pp. 186-87.

لمن يسعون لإدامة كراهية المسلمين⁽⁵¹⁾. وأدت العداوة للهوية الأسترالية الإسلامية والتشكيك فيها، إلى الخوف والخشية والانعزال في أوساط بعض المسلمين، مما أنشأ مسافات اجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين، وأسكت من يعتقدون «أنهم لا يمكن أن يحصلوا على (فرصة معقولة)»⁽⁵²⁾. واختزل الأستراليون المسلمون إلى الصور النمطية التحقيرية الأحادية نفسها⁽⁵³⁾. كما أنكر «مراقبو المسلمين» على المسلمين الأستراليين تنوعهم بالإضافة إلى إنسانيتهم، باستخدام الصور النمطية لتعريف الأشخاص، وتمثيل الإسلام بصور مثل نساء محجّبات، ورجال أشراس ملتحين، وآباء بربريين، ومغتصبين، ومفجّرين انتحاريين⁽⁵⁴⁾.

واجه المهاجرون والفئات الدينية المختلفة في أستراليا، وخصوصاً المسلمون، بعض المقاومة في عملية الاندماج في المجتمع الأسترالي⁽⁵⁵⁾. وعلى الرغم من المصاعب التي يلقاها الأستراليون المسلمون في إثبات «أسترايتهم»، فإن هناك بعض التقنيات التي اعتمدها الجاليات العربية والأسترالية لإثبات (أو إعادة إثبات) صورتهم. ويمثّل «التجسير» و«الترابط» طريقتين استخدمهما العرب والمسلمون للتواصل مع الجاليات العربية وغير العربية، ودعم الاتصال بين هذه الفئات رداً على السلوكيات الكارهة للأجانب⁽⁵⁶⁾. ووفقاً لميشال لامونت (Michele Lamont)⁽⁵⁷⁾ وفيراغ مولنر (Virag Molnar)⁽⁵⁸⁾، استُخدم هذان الأسلوبان لتعزيز حدود الفئات

(51) Deen 2003, pp. 271-279.

(52) Deen 2003, Kabir 2007.

(53) Saeed 2003.

(54) Deen 2003, pp. 283-287, Kabir 2008.

(55) Markus, A and Dharmalingam, A 2007, Mapping social cohesion Report, Institute for the Study of Global Movements Clayton, Monash, Vic.

(56) Allen, R 2010, 'The bonding and bridging roles of religious institutions for refugees in a non-gateway context', Ethnic and Racial Studies, vol. 33, no. 6.

(57) عالم اجتماع كندي، أستاذ الدراسات الأوروبية في جامعة هارفرد (المحرر).

(58) أستاذة علم الاجتماع في (New School for Social Research) (الولايات المتحدة). تركز اهتماماتها البحثية على الثقافة والسياسة والتغيير الاجتماعي (المحرر).

المحدّدة بالعرق أو الإثنية أو تجاوزها⁽⁵⁹⁾.

يمكن فهم «التجسير بأنه محاولة لبناء روابط مع الأستراليين غير المسلمين وغير العرب، لمواجهة الانقسامات الاجتماعية الحالية. ويستند «التجسير» إلى التفاهم المتبادل، والتواصل بين الثقافات، والرغبة في التعامل مع أعضاء المجتمع لتجنّب الإقصاء⁽⁶⁰⁾. وقد شجّعت الجالية الإسلامية على اعتماد هذه العملية لاستعادة صورة المسلمين في أستراليا. لكن يبدو أن بعض أعضاء الجالية الإسلامية يلاحظون أن الجالية لم تبذل جهداً كافياً لجسر الهوة بين الأستراليين المسلمين وغير المسلمين. ووفقاً لدين⁽⁶¹⁾، لم تتجح المجتمعات الإسلامية، منذ حرب الخليج، بما في ذلك الفئات الدينية والعرقية، في «بناء جسور» مع المجتمعات غير الإسلامية، مما عزز الجهل وكرهية الأجانب. غير أن إلقاء اللوم على الأستراليين المسلمين بشأن الخطاب الإقصائي الذي يدعمه بعض الأستراليين غير المسلمين يبدو عذراً خطيراً. ووفقاً للكاتبة الأسترالية حنيفة دين (Hannife Deen)⁽⁶²⁾، حاول العديد من المنظمات معالجة هذه الهوة بين الأستراليين المسلمين وغير المسلمين منذ سنة 2001. وترى دين أن سنة 2001 كانت حداً فاصلاً للناشطين المسلمين، في محاولة بدء حوار مع المجتمع الواسع. غير أنها اقترحت أن على القادة الدينيين المسلمين التشديد على التشابهات والتداخلات مع المسيحية واليهودية، وإيجاد حلفاء خارج الفئات الدينية، والسماح «للمسلمين غير المرثيين» بالتكلم بوضوح⁽⁶³⁾. ويمكن اعتبار النشاط والدعوة لصالح اللاجئيين والنشاط المناهض للحرب، مثلاً صالحاً على «التجسير» الذي جمع الأستراليين المسلمين وغير المسلمين معاً⁽⁶⁴⁾.

(59) Lamont, M, Virag, M, The study of Boundaries in the social sciences, Annual Review of Sociology 2002.

(60) Lamont, M & Aksartova, S 2002, Ordinary cosmopolitanisms strategies for bridging racial boundaries among working-class men. Theory, Culture & Society, vol. 19.

(61) Deen 2003, p. 283.

(62) Deen 2003.

(63) Deen 2003, pp. 386-387.

(64) Deen 2003, p. 325, Phillips 2009, p. 511.

شاركت المجتمعات الإسلامية أيضاً في أنشطة «التربط» رداً على الحوادث العنصرية وكرهية الأجانب. ويوصف «التربط» بأنه نشاط لتقوية العلاقة بين المجتمعات وأعضاء المجتمعات ودعمها، وإعادة تأكيد الهويات الأخلاقية والوطنية للمهاجرين⁽⁶⁵⁾. ويمكن تفسير الاهتمام المتجدد في أوساط الشبان المسلمين في أستراليا بتعليم الإسلام وتعلمه، بمثابة ردّ على الأحداث التي أثرت في المسلمين والمجتمع الإسلامي، والشعور بالتحدي الذي يشهده المجتمع⁽⁶⁶⁾.

الخاتمة

اختزل المجتمع الإسلامي الأسترالي في صور نمطية تحقيرية أحادية، تقدّم تفسيراً مشوّهاً للإسلام، يرتبط بطريقة سببية -تقريباً- بالصراعات والأحداث الإرهابية المحلية والدولية. وقد واجه الأستراليون المسلمون -ولا يزالون- إنكار استقلاليتهم الفردية، وهويّاتهم الثقافية والدينية، بالإضافة إلى مكانهم في المجتمع الإنساني العالمي. وأسهم صنّاع السياسة والمعلّقون -على حدّ سواء- في تقديم صورة إشكالية للأستراليين المسلمين، وسمحوا للصور النمطية المضلّة بتحديد مجتمع مغاير إلى حدّ كبير. وفي حين أن الأحداث السياسية العالمية أسهمت -من دون شك- في تعزيز المشاعر المعادية للمسلمين في أستراليا وسواها، في أوروبا وأمريكا الشمالية، فقد كان لعوامل تاريخية ومحلية محدّدة دور حاسم أيضاً. وتميّز المواقف السلبية من المسلمين الأستراليين الخطاب الاجتماعي والسياسي الراهن وتسيطر عليه. ولا بدّ من إعادة النظر في هذه الخصائص في ضوء العوامل المتداخلة، بما في ذلك التمثيل في وسائل الإعلام، والسياسات الاجتماعية (على شكل نسخة فلكلورية من التعددية الثقافية)، بالإضافة إلى التأثير العميق، وإن غير المدرك، للخطاب «الاستشراقي» في تصوّرات الإسلام والشرق.

(65) Levitt, P 2003, "You know, Abraham was really the first immigrant": religion and transnational migration', International Migration Review, vol. 37, no. 3. Hirschman, C 2004, 'The role of religion in the origins and adaptation of immigrant groups in the United States', International Migration Review, vol. 38 no. 3

(66) Deen 2003, p. 388.

وفي أستراليا، يشهد التصور الراهن للإسلام مزيداً من التعقيد نتيجة «الإنذارات الإرهابية» شبه اليومية، التي يصدرها الوزراء الحكوميون، ومن يعلنون أنهم خبراء، ومراسلو وسائل الإعلام. وكما لاحظ إدوارد سعيد قبل نحو ثلاثين سنة (1997)، فإن مجرد استخدام مصطلح «إسلام» لشرح الإسلام والمسلمين أو إدانتهم من دون تمييز، أصبح تعميماً مفرضاً غير مسؤول، يثير المشاكل، وذا تأثير معاكس، ويصم على نحو متزايد مجتمعاً بأكمله. ويجب اعتبار هذه الشيطنة، في سياق مجتمع متنوع ثقافياً مثل أستراليا، أمراً غير مقبول. ووفقاً للجناح اليميني في البلد، أدت التعددية الثقافية والفئات الثقافية المختلفة، لا سيما المسلمين والآسيويين، إلى تقويض الوحدة الثقافية. وفي هذا المناخ السياسي والاجتماعي، يُصوّر المهاجرون المسلمون في أستراليا على نحو متزايد بأنهم تهديد للانسجام الاجتماعي، وخطر محتمل على الأمن الوطني. بل إن النقاشات المستمرة بشأن فشل التعددية الثقافية، وصعود الفئات اليمينية المتطرفة التي تؤمن بتفوق البيض، يمثل أحد التحديات الأكثر أهمية التي تواجه الأستراليين المسلمين، وتؤثر في أستراليا المتعددة الثقافات بأكملها⁽⁶⁷⁾.

(67) Mansouri, F., M. Lobo and A. Johns 2016, Grounding religiosity in urban space: Insights from Multicultural Melbourne. Australian Geographer, Vol. 47, No. 3.